آثار علمية

﴿ الكتابان الجليلان ﴾

نوّهنا في اجزاء من المنار بكتاب « تحرير المرأة » وكتاب «سر تقدم الانكليز السكسونيين » وكيف لا ننوه بهما وهما غاية الغايات في فن التربية الذي نحن في أشد الحاجة اليه ونحن نعتقد كما يعتقد جميع العقلاء الذين لهم نظر ولو بوجه مّا في علم الاجتماع ان تقدم الامم وتأخرها وسعادتها وشقاءها وغناها وفقرها واستقلالها واستعباد الاغيار لها ـ كل ذلك منوط بتربيتها فمتى صلحت التربية صلح كل شيء ومتى فسدت فسد كل شيء ونعتقد ايضاً ان كمال التربية انما يكون بتربية الذكران والاناث جميعاً فوجود الرجال الكملة متوقف على وجود النساء الكوامل وبالعكس وقد استوفى احد الكتابين المنوه بهما أهم مباحث تربية النساء واستوفى ثانيهما اهم مباحث تربية الرجال . لان مدار كتاب (سر تقدم الانكليز) على تربية الرجال المستقلين بأنفسهم في معيشتهم القادرين على الاستعمار وتحصيل الثروة في كل مكان وزمان بحيث تكون امتهم بمجموعهم اكثر الامم ثروة ودولتهم اكبر الدول سيادة . وانما كان هذا الكتاب غاية الغايات في بابه لان مؤلفه درس فن الاجتماع حتى صار من الراسخين فيه ثم درس احوال الامم الثلاث التي هي في مقدمة امم الارض في العلم والعمل والمدنية ـ الفرنسيس (قومه) والالمان والانكليز السكسونيين (بريطانيين واميركانيين) فاهتدى بدراسته الى السر في تقدم الآخرين على من قباهم في الثروة والاستعمار وهو التربية التي شرحها في كتابه هذا وفضلها على سائر انواع التربية تفضيلا . من ينكر ان بريطانيا العظمى تسود على ربع العالم او اكثر وهي اقل الامم الثلاث عناية بالحرب ومزاولة له واذا تم ما يحاوله بعض رجالها من الحلاف والاتحاد مع الولايات المتحدة فلا يمضي قليل من الزمن الا ونرى عنصر « الانكلوسكسون » يسود نصف العالم . ربما يفوق بعض الامم الانكليز السكسونيين في بعض ما يسميه الفلاسفة وعلماء الاخلاق ادباً وفضيلة ولكن من يلاحظ أن العزة والقوة القائمتين على أصول

العلم هما مناط الترقي المادي والادبي معاً وأن الذلة والضعف المتولدين من الجهل وفساد التربية يذهبان بكل فضيلة ويمحوان معالم الآداب الا ان يعالجا بالعلاج الصحيح يتجلى له ان ماعترض به على كتاب (سر تقدم الانكليز) من ان الانكليز اذا كانوا اكثر تقدماً ماديا من الفرنسويين فالفرنسويون أرقى منهم في التقدم الادبي هو ناشئ عن نظر سطحي وعدم امعان فان بعض تلك الامور الادبية وهمي او عرفي غير حقيقي وما عساه يكون حقيقياً فان رقي الانكليز في مراقي التقدم يكفل لهم ادراكه والتبريز فيه ولا يقول صاحب الكتاب ولا غيره ان الانكليز يفضلون قومه وسائر الناس بكل شيء . كيف وقاعدة « يوجد في المفضول مالا يوجد في الفاضل » لا يمكن ان ينكرها احد . وانما المنا بهذا ليتم لنا الاحتجاج بأن الكتاب أمثل الكتب في فنه

هذا ما أقرظ به الكتاب على وجه الاجمال ولا أرضي لقراء المنار بان يكون هذا كل نصيبهم منه بل أعدهم بأني سألخص لهم اجل فوائده وأصلهم بما يناسب حالهم من مسائله وربما اتحفتهم بجل مقدمة معربه الفاضل فانها آية في الحكمة وتمثيل مرض الامة . وقد أجسن كل الاحسان في تشخيص مرض الامة في مقدمة الكتاب الذي يصف الدواء لادواء الامم . فمن عرف الداء يتناول علاجه من أمم . ولا حاجة للتنويه ببلاغة ترجمته العربية فان القراء يعلمون ان حضرة فتحي بك زغلول معربه في مقدمة بلغاء كتاب العربية ومن يقرأ الكتاب لا يكاد يشعر بأنه معرب تعريباً

وأما كتاب (تحرير المرأة) فانني وددت لو ينشر في المنار الا قليلا . حكمة رائعة . في عبارة بارعة . ومعنى دقيق . في لفظ رقيق . وما رأيت مكتوب في الانام . ما جعل الحكمة على طرف الثمام . مثل الذي رأيت في هذا الكتاب . ومن خصائصه انه احدث اثراً في الامة التي كدنا نحسبها ميتة لا تشعر بمؤلم ولا ملائم لاننا امسينا كما قال شاعرنا

غوينا فلا الداعي الى الخير بيننا ... يعان ولا الداعي الى الشر يخذل

أثر فيها حتى لا تسمع ممن قرأه كله أو بعضه الا الاطراء والاطناب . والثناء والاعجاب . او الانتقاد على بعض ماجاء في باب الحجاب . بالغ جمهور القارئين في هذا الانتقاد كما بالغ في استحسانه المغرمون بالاصلاح ولقد كتب الي احد افاضل اهل العلم العقلاء في سوريا

مانصه « اطلعنا على بضعة عشر عدداً من المؤيد ولقد دهشنا عاقرأناه من (تحرير المرأة) حيا الله مؤلفه وجزاه عن الاسلام والمسلمات خيراً ولعمري انه تصدى لامر عظيم وبقدر عظم الامر سيكون اثره عظيما في نفع الامة . ولقد اعدت قراءة تلك الاعداد مراراً لانها وافقت هوى في فؤادي وهواجس في خاطري على نحو ما كتبه ذلك الكاتب الفاضل ولقد حملت الاعداد الى فلان ... لاطلعه عليها اذ كان قد جرى قبيل ذلك بيننا حديث في هذا المعنى طالت فيه المناظرة ونتيجتها ان المراة اذا تثقف عقلها بالعلم والادب كان ذلك كافياً في صيانتها ومغنياً لها عن الحجاب العادي اما الحجاب الشرعي الذي مداره اخفاء مواضع الزينة ومواقع النظر وعدم الخلوة بالاجنبي فهذا لابد منه كيفما كانت حالة المراة بل مهما استكملت علماً وفضلاً » اه

هذه خلاصة صدى صوت المؤلف ترجمه الاقطار البعيدة ولم يكن قائلا الا بالحجاب الشرعي الذي استدل عليه بالكتاب والسنة واقوال فقهاء المذاهب ثم بالنظريات العقلية والتاريخية والخطابيات او الشعريات على بعد الكتاب عن هذا النوع الاخير في مجموعه اريد بهذا مثل قوله « عجبا لم لم تؤمر الرجال بالتبرقع وستر وجوههم عن النساء اذا خافوا الفتنة عليهن » هل اعتبرت عزيمة الرجل اضعف من عزيمة المراة واعتبر الرجل اعجز من المراة عن ضبط نفسه والحكم على هواه . واعتبرت المراة اقوى منه في كل ذلك حتى ابيح للرجال ان يكشفوا وجوههم لاعين النساء مهما كان لهم من الحسن والجمال . ومنع النساء من كشف وجوههن لاعين الرجال منعاً مطلقاً خوف ان يثنات زمام هوى النفس من سلطة عقل الرجل فيسقط في الفتنة بأية امراة تعرض له مهما بلغت من قبح الصورة وبشاعة الخلق ؛ ان زعم زاعم صحة هذا الاعتبار رايناه هذا الاعتراف منه بان المراة اكمل استعداداً من الرجل ... ثم توضح حينئذ تحت رقه في كل حال ؛ فان لم يكن هذا الاعتبار صحيحاً فلم هذا التحكم المعروف به اه والجواب عن هذا ان الذين يقولون بحرم على الرجل النظر الى وجه المراة يقولون ايضا بحرم عليها النظر الى وجهه سواء في ذلك من قيد الحرمة بخوف الفتنة في الجانبين وهم المتشددون ومن اطلقها في كل حال سداً للباب وهم المتأخرون وهؤلاء لا يختلفون حينئذ والمراد جلباً فيه الى الاجنبي . وانما أمروا المرأة بستر وجهها دون الرجل لان شأن النساء ان يلزمن المنازل . ولا يتعرضن

لانظار الرجال . والتعرض لنظر أحد الفريقين للآخر انما يكون في الاسواق ونحوها من المجتمعات العمومية التي هي للرجال بالاصالة ولا يغشاها النساء الا نادر للضرورات فلا جرم ان الصواب ان يتكلف مشقة الستر من يكون وجوده فيها عارضاً على سبيل الندور وليس له فيها عمل بهم وهو صنف النساء ويسهل عليهن لذلك غض ابصارهن وليس من الصواب ان يؤمر اهل السوق كلهم بالانتقاب لما عساه يعرض من دخول امرأة أو اكثر عليهم فيه . فان قيل ان دخول النساء الاسواق كثير وليس بالنادر ورعا ساوين فيه الرجال . اقول انهم يبنون كلامهم على أصلهم وهو لزوم النساء البيوت في الغالب وما جاء على خلاف الاصل لا يحتج به وان امكن الاحتجاج على بطلان الاصل على ان هذا ليس في جميع البلاد الاسلامية ففي نابلس والقدس وبلاد أخرى من سوريا وفلسطين لا تكاد ترى امرأة مسلمة في السوق الا نادراً

يقول المؤلف بوجوب الوقوف بالحجاب عند حدود الدين وقد راعى جانب الحكمة فقال لا ينبغي ان نخفف وطأة الحجاب العادي الا بعد التربية الصحيحة ولكنه توسع في بيان مضار هذا الحجاب وبيان ما ينبغي ان يكون عليه النساء بعد التربية من مخالطة الرجال ومشاركتهم في الاقوال والاعمال . حتى انه ذكر من مضار الاقتصادية حاجة الدار الى بيتين لما ئدة ومثلهما لاستقبال الزائرين والزائرات . ومثل هذا القول يجري المتفرنجين على تعجل ما يشاهدون من مشايعة الافرنج في عاداتهم مما كانوا يأبونه حذراً من انتقاد ابناء وطنهم عليهم باسم الدين . فهذه المصادمة للعادات والمألوفات في المسئلة هي التي اطلقت الالسن بالانتقاد . والحق انه ما كل ما يعلم يقال وانه ينبغي لمن يكتب في الاصلاح ان يجمل في الكلام عن المسائل التي لا يطلب العمل بها في الحال حتى اذا ما جاء وقت العمل فان الحاجة تتكفل بالبيان ولا انكر ان اكثر المنتقدين يسيرون في انتقادهم على غير هدى ويثرون بما تمليه عليهم خيالاتهم . التي أثارتها اهواؤهم وعاداتهم وموضع النقد الصحيح هو ما علمت آنفاً

وثم منتقد آخر وهو ما في الكتاب من المنازع الاجتهادية وقد توسع فيها المؤلف في الكلام على الطلاق وكان ينتظر ان ينتقد هذا العلماء ولكن علماءنا أمسوا في الغالب لا ينكرون منكراً ولا يعرفون معروفاً . ونحن مع المؤلف في ان الاصلاح الذي يضطر اليه المسلمون لا يتم لهم

مادامو ا مقيدين بقول امام واحد في الاحكام والمصالح العامة وفي ان مايحتاجون اليه في امورهم الدينية التي تنطبق على حال هذا العصر موجود في شريعتهم متفرقا في كتب المذاهب فيجب استخراجه والعمل به . ونقول أيضاً ان ذلك لايتوقف على التلفيق الذي يمنعه اكثر العلماء وسنتوسع في هذا عند سنوح فرصة أخرى ان شاء الله تعالى

ونختم التقريظ بكلمة ثناء على الشاب المهذب الفاضل محمد علي افندي كامل صاحب مكتبة الترقي ومطبعتها لاجل عنايته بطبع ونشر هذين الكتابين ونحوهما من الكتب النفيسة ككتاب (اسباب ونتائج) وتطلب هذه الكتب من مكتبته في مصر وثمن (تحرير المرأة) ١٠ قروش و(سر تقدم الانكليز) ٢٠ قرشاً ويختزل لبائعي الكتب وطلاب العلم ١٥ قرشا في المائة وليس هذا الثمن بكثير على حسن ورقها وجودة طبعها فضلا عن فائدتها التي تقدر ولاتثمن بمال . فنحث كل قارئ على اقتنائها وتكرار مطالعتها والاعتبار بها

الاخبار السياسية

قليل من الحقائق عن تركيا في عهد جلالة السلطان عبد الحميد الثاني

(تابع مالية الدولة)

في سنة ١٨٩١ ابتكر تدبير جديد لايزال في معرض البحث اذا تحقق رجي من ورائه خير كثير لمالية الدولة العثمانية ذلك هو تأصيل المبلغ الذي يتوفر مساهمة من تحويل الديون الممتازة وهو ١٤٥٠٠٠٠ جنيه انكليزي (تأصيله جعله رأس مال) ينشأ بهذا المبلغ السنوي قرض قدره ٢٩٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي باصدار سهام عثمانية ممتازة بنفس السعر الذي اصدرت به سهام ٢٧ ابريل اعني أربعة في المائة من الربح وواحدا في المائة من اجر الاستهلاك تدفع قيمة هذه السهام في أربع وأربعين سنة

لما كان الفرعان من الدين العثماني المشار اليهما بحرفي (ت) و(ث) فيما تقدم مقدرين بقيمة أقل من الفرعين السابقين لهما كانت الهمة موجهة طبعاً لايجاد طريقة استهلاك اضافية لتسديدهما . فلهذا القرض اخذ وكلاء الديون على أنفسهم ان يدفعوا فيما يطلب